حكم زيارة القبور والاستنجاد بالمقبور

من تأليف

الشيخ الامام، الحافظ البحر الهمام، اعجوبة الزمان، ومفحم الاقران، احمد بن عبد الحليم الحراني ثم الدمشقي. سقى الله ثراه، واثابه رضاه.

الطبعة الثانية

بالمطبعة المهدية

على نفقة ادارة مجلة «لسان الدين»

سنة

1366 هـ . ـ 1947 م.

Ibn Taymiyah, Ahmad
٣٦

Hukm ziyārat al-qubūr

حكم زيارة القبور والاستنجاد بالمقبور

من تأليف

الشيخ الامام، الحافظ البحر الهمام، اعجوبة الزمان، ومفحم الاقران، احمد بن عبد الحليم الحراني ثم الدمشقي. سقى الله ثراه، واثابه رضاه.

الطبعة الثانية

بالمطبعة المهدية

على نفقة ادارة مجلة «لسان الدين»

سنة

1366 هـ . ـ 1947 م.

بسم الله الرحمن الرحيم

سئل الامام الحافظ الحجة احمد بن عبد الحليم الحراني ثم الدمشقي رحمه الله تعالى عن مسألة زيارة القبور، وهذا نص السؤال.

ما تقول السادة العلماء ائمة الدين، وعلماء المسلمين رضوان الله عليهم اجمعين، في من يزور القبور، ويستنجد بالمقبور في مرض به او بفرسه او بعيره، يطلب إزالة المرض الذي بهم، ويقول يا سيدي انا في جيرتك، انا في حسبك، فلان ظلمني، فلان قصد اذيتي. ويقول ان المقبور يكون واسطة بينه وبين الله تعالى، وفي من ينذر للمساجد والزوايا والمشايخ حيهم وميتهم بالدراهم والابل والغنم والشمع والزيت وغير ذلك؛ يقول: ان سلم ولدي فللشيخ علي كذا كذا وامثال ذلك، وفي من يستغيث

بشيخه، يطلب تثبيت قلبه من ذلك الواقع، وفي من يجيء الى شيخه ويستلم القبر، ويمرغ وجهه عليه، ويمسح القبر بيديه، ويمسح بهما وجهه وامثال ذلك، وفي من يقصده بحاجته ويقول: يا فلان ببركتك، او يقول: قضيت حاجتي ببركة الله وبركة الشيخ، وفي من يعمل السماع ويجيء الى القبر فيكشف ويحط وجهه بين يدي شيخه على الارض ساجدا، وفي من قال: ان ثم قطباً غوثا جامعا في الوجود، افتونا مأجورين، وابسطوا القول في ذلك.

أجاب

الحمد لله رب العالمين * الذي بعث الله به رسله، وانزل به كتبه، هو عبادة الله وحده لا شريك له، واستعانته والتوكل عليه، ودعاؤه لجلب المنافع ودفع المضار، كما قال تعالى (تنزيل الكتاب من الله العزيز الحكيم انا انزلنا اليك الكتاب بالحق فاعبد الله مخلصا له الدين الا لله الدين الخالص والذين اتخذوا من دونه اولياء ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى إن الله يحكم بينهم فيما هم فيه

يختلفون) وقال تعالى (وأن المساجد لله فلا تدعوا مع الله احداً)وقال تعالى(قل أمر ربي بالقسط واقيموا وجوهكم عند كل مسجد وادعوه مخلصين له الدين)وقال تعالى (قل ادعوا الذين زعمتم من دونه فلا يملكون كشف الضر عنكم ولا تحويلا اولئك الذين يدعون يبتغون الى ربهم الوسيلة ايهم اقرب ويرجون رحمته ويخافون عذابه إن عذاب ربك كان محذوراً) قالت طائفة من السلف: كان اقوام يدعون المسيح وعزيرا والملائكة، قال الله تعالى: هؤلاء الذين تدعونهم عبادي، كما انتم عبادي؛ ويرجون رحمتي، كما ترجون رحمتى، ويخافون عذابي، كما تخافون عذابي؛ ويتقربون إلي، كما تتقربون الي. فاذا كان هذا حال من يدعو الانبياء والملائكة فكيف بمن دونهم؟ وقال تعالى: (أفحسب الذين كفروا ان يتخذوا عبادي من دوني اولياء انا اعتدنا جنهم للكافرين نزلا)وقال تعالى (قل ادعوا الذين زعمتم من دون الله لا يملكون مثقال ذرة في السماوات ولا في الارض وما لهم فيهما من شرك وما له منهم من ظهير ولا تنفع الشفاعة

عنده الا لمن اذن له) فبين سبحانه ان من دعا من دون الله من جميع المخلوقات من الملائكة والبشر وغيرهم: انهم لايملكون مثقال ذرة في ملكه، وانه ليس له شريك في ملكه؛ بل هو سبحانه له الملك وله الحمد، وهو على كل شيء قدير؛ وانه ليس له عون يعاونه، كما يكون للملك اعوان وظهراء؛ وان الشفعاء عنده لايشفعون الا لمن ارتضى، فينتقى بذلك وجوه الشرك، وذلك ان من يدعو (1) من دونه اما ان يكون مالكا واما ان لا يكون. واذا لم يكن شريكا فاما ان يكون معاونا واما ان يكون سائلا طالبا؛ فالاقسام الاول الثلاثة منتفيه. واما الرابع فلا يكون الا من بعد اذنه، كما قال تعالى: (من ذا الذي يشفع عنده الا باذنه) وكما قال تعالى (وكم من ملك في السماوات لاتغني شفاعتهم شيئا الا من بعد ان ياذن الله لمن يشاء ويرضى) وقال تعالى (ام اتخذوا من دون الله شفعاء قل اولو كانوا لا يملكون شيئا ولا يعقلون قل لله الشفاعة جميعا له ملك السماوات والارض) وقال تعالى (الله

(1) هكذا في الاصل والصواب يدعى.

الذي خلق السماوات والارض وما بينهما في ستة ايام ثم استوى على العرش مالكم من دونه من ولي ولاشفيع افلا تتذكرون)وقال تعالى (وانذر به الذين يخافون ان يحشروا الى ربهم ليس لهم من دونه ولي ولاشفيع لعلهم يتقون)وقال تعالى (ما كان لبشر ان يؤتيه الله الكتاب والحكم والنبوة ثم يقول للناس كونوا عباداً لي من دون الله ولكن كونوا ربانيين بما كنتم تعلمون الكتاب وبما كنتم تدرسون ولا يامركم ان تتخذوا الملائكة والنبيين اربابا ايامركم بالكفر بعد اذ انتم مسلمون) فاذا جعل من اتخذ الملائكة والنبيين اربابا كافرا فكيف من اتخذ من دونهم من المشايخ وغيرهم اربابا؟ وتفصيل القول ان مطلوب العبد ان كان من الامور التي لا يقدر عليها الا الله تعالى: مثل ان يطلب شفاء مرضه من الآدميين والبهائم او وفاء دينه من غير جهة معينة او عافية اهله وما به من بلاء الدنيا والآخرة وانتصاره على عدوه وهداية قلبه وغفران ذنبه او دخوله الجنة او نجاته من النار او ان يتعلم العلم والقرآن او ان يصلح قلبه ويحسن خلقه

ويزكي نفسه وامثال ذلك، فهذه الامور كلها لا يجوز ان تطلب الا من الله تعالى، ولا يجوز ان يقول لملك ولا نبي ولا شيخ، سواء كان حيا او ميتا: اغفر ذنبي، ولا انصرني على عدوي، ولا اشف مريضي، ولاعافني او عاف اهلي او دابتي واما اشبه ذلك. ومن سأل ذلك مخلوقا كائنا من كان فهو مشرك بربه: من جنس المشركين الذين يعبدون الملائكة والانبياء والتماثيل التي يصورونها على صورهم، ومن جنس المشركين دعاء النصاري للمسيح وامه. قال الله تعالى (واذ قال الله يا عيسى بن مريم أأنت قلت للناس اتخذوني وامي الهين من دون الله الآية) وقال تعالى (اتخذوا احبارهم ورهبانهم اربابا من دون الله والمسيح بن مريم وما امروا الا ليعبدوا الها واحداً لا اله الا هو سبحانه عما يشركون).

واما ما يقدر عليه العبد ويجوز ان يطلب منه في بعض الاحوال دون بعض فان مسألة المخلوق قد تكون جائزة، وقد تكون منهيا عنها. قال الله تعالى: (فاذا فرغت

فانصب والى ربك فارغب (1))وأوصى النبي صلى الله عليه وسلم ابن عباس: «اذا سألت فاسأل الله، واذا استعنت فاستعن بالله»وأوصى النبي صلى الله عليه وسلم طائفة من اصحابه ان لا يسألوا الناس شيئا؛ فكان سوط احدهم يسقط من كفه، فلا يقول لاحد ناولني اياه. وثبت في الصحيحين انه صلى الله عليه وسلم قال: «يدخل الجنة من امتي سبعون الفا بغير حساب، وهم الذين لا يسترقون، ولا يكتوون، ولا يتطيرون، وعلى ربهم يتوكلون» والاسترقاء طلب الرقية، وهو من انواع الدعاء. ومع هذا فقد ثبت عنه صلى الله عليه وسلم انه قال: ما من رجل يدعو له اخوه بظهر الغيب دعوة الا وكل الله بها ملكا، كلما دعا لاخيه دعوة قال الملك: ولك مثل ذلك، ومن المشروع في الدعاء اجابة غائب لغائب(2). ولهذا امر (3) النبي صلى الله

(1) من المقرر في علم البلاغة ان تقديم المعمول يفيد الحصر، فالمعنى ارغب الى ربك، ولا ترغب الى غيره.

(2) اي اجابة دعاء الغائب للغائب.

(3) لعل الصواب امرنا.

عليه وسلم بالصلاة عليه، وطلبنا الوسيلة له، واخبر بما لنا في ذلك من الاجر، اذا دعونا بذلك فقال في الحديث: «اذا سمعتم المؤذن فقولوا مثل ما يقول، ثم صلوا علي؛ فان من صلى علي مرة صلى الله عليه عشرا، ثم اسألوا الله لي الوسيلة؛ فانها درجة في الجنة، لا ينبغي ان تكون الا لعبد من عباد الله، وارجو ان اكون ذلك العبد. فمن سأل الله لي الوسيلة حلت له شفاعتي يوم القيامة» ويشرع للمسلم ان يطلب الدعاء ممن هو فوقه، وممن هو دونه: فقد روي طلب الدعاء من الاعلى والادنى؛ فان النبي صلى الله عليه وسلم ودع عمر الى العمرة وقال: «لا تنسنا من دعائك يا اخي» لكن النبي صلى الله عليه وسلم لما امرنا بالصلاة عليه وطلب الوسيلة له ذكر ان من صلى عليه مرة صلى الله عليه بها عشرا، وان من سأل له الوسيلة حلت له شفاعته يوم القيامة؛ فكان طلبه منا لمنفعتنا في ذلك. وفرق بين من طلب من غيره شيئا لمنفعة المطلوب منه ومن يسال غيره لحاجته اليه فقط. وثبت

في الصحيح انه صلى الله عليه وسلم ذكر اويس القرني وقال لعمر: « ان استطعت ان يستغفر لك فافعل» وفي الصحيحين انه كان بين ابي بكر وعمر رضي الله عنهما شيء، فقال ابو بكر لعمر: استغفرلي، لكن في الحديث ان ابا بكر ذكر انه حنق على عمر. وثبت ان اقواما كانوا يسترقون، وكان النبي صلى الله عليه وسلم يرقيهم. وثبت في الصحيحين ان الناس لما اجدبوا سألوا النبي صلى الله عليه وسلم ان يستسقي لهم، فسقوا. وفي الصحيحين ايضا ان عمر بن الخطاب رضي الله عنه استسقى بالعباس، فدعا فقال: اللهم انا كنا اذا اجدبنا نتوسل بنبينا فتسقينا، وانا نتوسل اليك بعم نبينا فاسقنا، فسقوا. وفي الحديث ان اعرابيا قال للنبي صلى الله عليه وسلم: جهدت الانفس، وجاع العيال، وهلك المال، فادع الله لنا؛ فانا نستشفع بالله عليك، وبك على الله، فسبح (1) رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى

(1) اي قال سبحان الله متعجبا وغضب حتى عرف اصحابه الغضب في وجهه؛ لاجل قول الاعرابي: فانا نستشفع بالله عليك.

عرف ذلك في وجوه اصحابه، وقال: « ويحك! ان الله لا يستشفع به على احد من خلقه، شان الله اعظم من ذلك» فاقره على قوله انا نستشفع بك على الله، وانكر عليه نستشفع بالله عليك؛ لان الشافع يسأل المشفوع اليه، والعبد يسأل ربه ويستشفع الله، والرب تعالى لا يسأل العبد ولا يستشفع به.

واما زيارة القبور المشروعة فهو ان يسلم على الميت ويدعو له بمنزلة الصلاة على جنازته، كما كان النبي صلى الله عليه وسلم يعلم اصحابه؛ اذا زاروا القبور ان يقولوا: « سلام عليكم اهل ديار قوم مؤمنين، وانا ان شاء الله بكم لاحقون، يرحم الله المستقدمين منا والمستأخرين، نسأل الله لنا ولكم العافية، اللهم لا تحرمنا اجرهم، ولا تفتنا بعدهم». وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال: « ما من رجل يمر بقبر رجل كان يعرفه في الدنيا فيسلم عليه الا رد الله عليه روحه حتى يرد عليه السلام» والله تعالى يثيب الحي اذا دعا للميت المؤمن، كما يثيبه اذا صلى

على جنازته. ولهذا نهى النبي صلى الله عليه وسلم ان يفعل ذلك بالمنافقين، فقال عز من قائل: (ولاتصل على احد منهم مات ابدا ولا تقم على قبره) فليس في الزيارة الشرعية حاجة الحي الى الميت، ولا مسالته ولا توسله به، بل فيها منفعة الحي للميت كالصلاة عليه. والله تعالى يرحم هذا بدعاء هذا واحسانه اليه، ويثيب هذا على عمله؛ فانه ثبت في الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال: «اذا مات ابن آدم انقطع عمله الا من ثلاث: صدقة جارية، او علم ينتفع به من بعده، او ولد صالح يدعو له».

فصل

واما من يأتي الى قبر نبي او صالح، او من يعتقد فيه انه قبر نبي او رجل صالح وليس كذلك، ويسأله ويستنجده فهذا على ثلاث درجات: احدها ان يساله حاجته مثل ان يساله ان يزيل مرضه او مرض دوابه، او يقضي دينه، او ينتقم له من عدوه، او يعافى نفسه واهله ودوابه ونحو

ذلك، مما لا يقدر عليه الا الله عز وجل فهذا شرك صحيح،(1) يجب ان يستتاب صاحبه، فان تاب والا قتل. وان قال انا اساله لكونه اقرب الى الله مني؛ ليشفع لي في هذه الامور؛ لاني اتوسل الى الله به، كما يتوسل الى السلطان بخواصه واعوانه فهذا من افعال المشركين والنصارى؛ فانهم يزعمون انهم يتخذون احبارهم ورهبانهم شفعاء، يستشفعون بهم في مطالبهم. وكذلك اخبر الله عن المشركين انهم قالوا (ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى) وقال سبحانه وتعالى (أم اتخذوا من دون الله شفعاء قل اولو كانوا لا يملكون شيئا ولا يعقلون قل لله الشفاعة جميعا له ملك السماوات والارض ثم اليه ترجعون) وقال تعالى (ما لكم من دونه من ولي ولا شفيع افلا تتذكرون) وقال تعالى (من ذا الذي يشفع عنده الا باذنه) فبين الفرق بينه وبين خلقه؛ فان من عادة الناس ان يستشفعوا الى الكبير من كبرائهم بمن يكرم عليه، فيساله ذلك الشفيع، فيقضي

---

(1) لعل الصواب صريح بدل صحيح.

حاجته، اما رغبة، واما رهبة، واما حياء، واما مودة، واما غير ذلك. والله سبحانه لا يشفع عنده احد حتى ياذن هو للشافع، فلا يفعل الا ما شاء الله. وشفاعة الشافع من اذنه(1)؛ فالامر كله له؛ ولهذا قال النبي صلى الله عليه وسلم، في الحديث المتفق عليه، عن ابي هريرة رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال: «لا يقولن احدكم اللهم اغفرلي ان شئت، اللهم ارحمني ان شئت، ولكن ليعزم المسألة؛ فان الله لا مكره له» فبين ان الرب سبحانه يفعل ما شاء، لا يكرهه احد على ما اختاره، كما قد يكره الشافع المشفوع اليه، وكما يكره السائل (2) اذا الح عليه وآذاه بالمسألة؛ فالرغبة تجب ان تكون اليه كما قال تعالى:(فاذا فرغت فانصب والى ربك فارغب) والرهبة تكون من الله كما قال تعالى: (وإياي فارهبون) وقال تعالى: (فلا تخشوا الناس واخشون) وقد امرنا ان نصلي على النبي صلى الله عليه وسلم في الدعاء،

(1) لعل الصواب باذنه.

(2) لعل الصواب: وكما يكره السائل المسؤول اذ الح...

وجعل ذلك من اسباب اجابة دعائنا. وقول كثير من الضلال: هذا اقرب الى الله مني، وانا بعيد من الله، لا يمكنني ان ادعوه الا بهذه الواسطة ونحو ذلك من اقوال المشركين، فان الله تعالى يقول: (واذا سألك عبادي عني فاني قريب اجيب دعوة الداع اذا دعان) وقد روي ان الصحابة قالوا: يا رسول الله (1)، ربنا قريب فنناجيه، ام بعيد فنناديه؟ فانزل الله هذه الآية. وفي الصحيح انهم كانوا في سفر، وكانوا يرفعون اصواتهم بالتكبير، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «يا ايها الناس اربعوا(2) على انفسكم؛ فانكم لا تدعون اصم ولا غائبا، بل تدعون سميعا قريبا، اقرب اليكم، او الى احدكم من عنق راحلته». وقد امر الله تعالى العباد كلهم بالصلاة له ومناجاته، وامر كلا منهم ان يقولوا: (اياك نعبد واياك نستعين). وقد اخبر عن المشركين انهم قالو: (ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى). ثم يقال لهذا المشرك: انت اذا

(1) فيه حذف همزة الاستفهام، والتقدير اربنا قريب الخ.
(2) اي ارفقوا بانفسكم، ولا ترفعوا اصواتكم كثيرا.

دعوت، فان كنت تظن انه (1) اعلم بحالك، واقدر على عطاء سؤالك، او ارحم بك فهذا جهل وضلال وكفر، وان كنت تعلم ان الله اعلم واقدر وارحم فلم عدلت عن سؤاله الى سؤال غيره؟ الا تسمع الى ما خرجه البخاري وغيره، عن جابر رضي الله عنه قال: «كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعلمنا الاستخارة في الامور، كما يعلمنا السورة من القرآن، يقول: اذا هم احدكم بامر فليركع ركعتين، من غير الفريضة، ثم ليقل: اللهم اني استخيرك بعلمك، واستقدرك بقدرتك، واسألك من فضلك العظيم، فانت تقدر ولا اقدر، وتعلم ولا اعلم، وانت علام الغيوب. اللهم ان كنت تعلم ان هذا الامر خير لي في ديني ومعاشي وعاقبة امري فاقدره لي ويسره لي، ثم بارك لي فيه، وان كنت تعلم ان هذا الامر شر لي في ديني ومعاشي وعاقبة امري فاصرفه عني، واصرفني عنه، واقدر لي الخير حيث كان، ثم رضني به» قال:

(1) اي ذلك النبي او الصالح.

ويسمي حاجته. فامر العبد ان يقول: استخيرك بعلمك، واستقدرك بقدرتك، واسالك من فضلك العظيم، وان كنت تعلم انه اقرب الى الله منك، واعلى درجة عند الله منك فهذا حق، لكن كلمة حق اريد بها باطل؛ فانه اذا كان اقرب منك، واعلى درجة منك، فانما معناه ان يثيبه ويعطيه اكثر مما يعطيك، ليس معناه انك اذا دعوته كان الله يقضي حاجتك اعظم مما يقضيها اذا دعوت انت الله تعالى؛ فانك ان كنت مستحقا للعقاب ورد الدعاء مثلا؛ لما فيه من العدوان فالنبي والصالح لا يعين على ما يكرهه الله، ولا يسعى فيما يبغضه الله، وان لم يكن كذلك فالله اولى بالرحمة والقبول، وان قلت: هذا اذا دعا الله دعاءه اعظم مما يجيبه اذا دعوته فهذا هو القسم الثاني، وهو ان لا تطلب منه الفعل ولا تدعوه، ولكن تطلب ان يدعو لك، كما تقول للحي: ادع لي، وكما كان الصحابة رضوان الله عليهم يطلبون من النبي صلى الله عليه وسلم الدعاء فهذا مشروع في الحي، كما تقدم. واما الميت، من الانبياء والصالحين وغيرهم فلم يشرع لنا ان نقول: ادع

لنا ولا اسال لنا ربك. ولم يفعل هذا احد من الصحابة والتابعين، ولا امر به احد من الائمة، ولا ورد فيه حديث، بل الذي ثبت في الصحيح انهم لما اجدبوا زمن عمر رضي الله عنه استسقى بالعباس، وقال: اللهم انا كنا اذا اجدبنا نتوسل اليك بنبينا فتسقينا، وانـا نتوسل اليك بعم نبينا فاسقنا، فيسقون، ولم يجيئوا الى قبر النبي صلى الله عليه وسلم قائليـن: يـا رسـول الله ادع الله لنـا، واستسق لنا، ونحن نشتكي اليك مما اصابنا ونحو ذلك: لم يفعل ذلك احد من الصحابة قط، بل هو بدعة ما انزل الله بها من سلطان، بل كانوا اذا جاءوا عند قبر النبي صلى الله عليه وسلم يسلمون عليه، فـاذا ارادوا الدعـاء لم يدعوا الله مستقبلي القبر الشريف، بل ينحرفون ويستقبلون القبلة، ويدعون الله وحده لا شريك له، كما يدعونه في سائر البقاع، وذلك ان في الموطأ وغيره عنه صلى الله عليـه وسلـم قـال: « اللهم لا تجعل قبـري وثنا يعبد، اشتد غضب الله على قوم اتخذوا قبور انبيائهم مساجد» وفي السنن عنه انه قال: «لا تتخذوا قبري عيدا، وصلوا علي

حيثمـا كنتم؛ فان صلاتكم تبلغني»وفي الصحيح عنه انه قال في مرضه الذي لم يقم منه:«لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور انبيائهم مساجد، يحذر ما فعلوا، قالت عائشة رضي الله عنها وعن ابويها: ولولا ذلك لبرز قبره، ولكن كره ان يتخذ مسجدا» وفي صحيح مسلم عنه صلى الله عليه وسلم انه قال قبل ان يموت بخمس:« ان من كان قبلكم كانوا يتخذون القبور مساجد، فاني انهاكم عن ذلك» وفي سنن ابي داود عنه قال: «لعن الله زوارات القبور والمتخذين عليها المساجد، والسرج» ولهذا قال علماؤنا: لا يجوز بناء المسجد على القبور، وقالوا: انه لا يجوز ان ينذر لقبر ولا للمجاورين عند القبر شيئا من الاشياء، لا من درهم (1) ولا من زيت ولا من شمع ولا من حيوان ولا غير ذلك، كله نذر معصية. وقد ثبت في الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال: «من نذر ان يطيع الله فليطعه، ومن

(1) الاقرب الى الصواب دراهم.

نذر ان يعصي الله فلا يعصه». واختلف العلماء هل على الناذر كفارة يمين على قولين، ولهذا لم يقل احد من ائمة السلف : ان الصلاة عند القبور، وفي مشاهد القبور مستحبة، او فيها فضيلة، ولا ان الصلاة هناك والدعاء افضل من الصلاة في غير تلك البقعة والدعاء، بل اتفقوا كلهم على ان الصلاة في المساجد والبيوت افضل من الصلاة عند القبور: قبور الانبياء والصالحين سواء سميت مشاهد او لم تسم. وقد شرع الله ورسوله في المساجد دون المشاهد اشياء، فقال تعالى: (ومن اظلم ممن منع مساجد الله ان يذكر فيها اسمه وسعى في خرابها) ولم يقل المشاهد، وقال تعالى: (وانتم عاكفون في المساجد) ولم يقل في المشاهد، وقال تعالى: (قل امر ربي بالقسط واقيموا وجوهكم عند كل مسجد) وقال تعالى (انما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر واقام الصلاة وآتى الزكاة ولم يخش الا الله فعسى اولئك ان يكونوا من المهتدين) وقال تعالى(وان المساجد لله فلا تدعوا مع الله احدا) وقال صلى الله عليه وسلم : «صلاة الرجل

في المسجد تفضل على صلاته في بيته وسوقه بخمس وعشرين ضعفا» وقال صلى الله عليه وسلم «من بنى لله مسجدا بنى الله له بيتا فى الجنة» واما القبور فقد ورد نهيه صلى الله عليه وسلم عن اتخاذها مساجد، ولعن من يفعل ذلك. وقد ذكره غير واحد من الصحابة والتابعين، كما ذكره البخاري في صحيحه والطبراني وغيره فى تفاسيرهم، وذكره وثيمة (1) وغيره في قصص الانبياء، في قوله تعالى:(وقالوا لا تذرن آلهتكم ولا تذرن وداً ولا سواعاً ولا يغوث ويعوق ونسرا) قالوا هذه اسماء قوم صالحين، كانوا من قوم نوح، فلما ماتوا عكفوا على قبورهم، ثم طال عليهم الامد، فاتخذوا تماثيلهم اصناما. وكان العكوف على القبور والتمسح بها وتقبيلها والدعاء عندها وفيها (2) ونحو ذلك هو اصل الشرك وعبادة الاوثان (3). ولهذا قال النبي صلى الله

(1) كذا في النسخة التي اعتمدنا عليها، ولا نعرف وثيمة.
(2) انظر تفسير الطبري وتفسير البخاري في صحيحه، في سورة نوح عليه السلام.
(3) كذا فى الاصل.

عليه وسلم: «اللهم لا تجعل قبري وثنا يعبد»(1) واتفق العلماء على ان من زار قبر النبي صلى الله عليه وسلم، او قبر غيره من الانبياء والصالحين او الصحابة واهل البيت وغيرهم فانه لا يتمسح به، ولا يقبله، بل ليس في الدنيا من الجمادات ما يشرع تقبيلها الا الحجر الاسود. وقد ثبت في الصحيحين ان عمر رضي الله عنه قال: والله اني لأعلم انك حجر لا تضر ولا تنفع، ولولا اني رايت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقبلك ما قبلتك، ولهذا لا يسن باتفاق الائمة ان يقبل الرجل او يستلم ركني البيت اللذين يليان الحجر، ولا جدران البيت، ولا مقام ابراهيم، ولا صخرة بيت المقدس، ولا قبر احد من الانبياء والصالحين، حتى تنازع الفقهاء في وضع اليد على منبر سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم، لما كان موجودا، فكرهه مالك وغيره لانه بدعة. وذكر ان مالكا لما راى عطاء فعل ذلك لم

(1) رواه مالك في الموطأ.

ياخذ عنه العلم، ورخص فيه احمد وغيره؛ لان ابن عمر رضي الله عنهما فعله. واما التمسح بقبر النبي صلى الله عليه وسلم وتقبيله فكلهم كره ذلك، ونهى عنه. وذلك لانهم علموا ما قصده النبي صلى الله عليه وسلم، من حسم مادة الشرك، وتحقيق التوحيد، واخلاص الدين لله رب العالمين. وهذا ما يظهر به الفرق بين سؤال النبي صلى الله عليه وسلم والرجل الصالح في حياته وبين سؤاله بعد موته، وفي مغيبه. وذلك انه في حياته لا يعبده احد بحضوره. فاذا كان الانبياء صلوات الله عليهم والصالحون احياء لا يتركون احدا يشرك بهم بحضورهم، بل ينهونهم عن ذلك ويعاقبونهم عليه. ولهذا قال المسيح عليه السلام :(ما قلت لهم الا ما امرتني به ان اعبدوا الله ربي وربكم وكنت عليهم شهيدا ما دمت فيهم فلما توفيتني كنت انت الرقيب عليهم وانت على كل شيء شهيد) وقال رجل للنبي صلى الله عليه وسلم: ما شاء الله وشئت، فقال: « اجعلتني لله ندا، ما شاء الله وحده، وقال: « لا تقولوا ما شاء الله وشاء محمد، ولكن

قولوا ما شاء الله ثم شاء محمد» ولما قالت الجويرية:

وفينا رسول الله يعلم ما في غد

قال « دعي هذا وقولي بالذي كنت تقولين» وقال «لا تطروني كما اطرت النصارى ابن مريم، انما انا عبد، فقولوا عبد الله ورسوله» ولما صفوا خلفه قياما قال «لا تعظموني كما تعظم الاعاجم بعضهم بعضا» وقال انس لم يكن شيء احب اليهم من رسول الله صلى الله عليه وسلم، وكانوا اذا رأوه لم يقوموا له لما يعلمون من كراهته لذلك. ولما سجد له معاذ نهاه وقال « انه لا يصلح السجود الا لله، ولو كنت آمرا احدا ان يسجد لاحد لامرت المرأة ان تسجد لزوجها، من عظم حقه عليها» ولما اتى علي بالزنادقة الذين غلوا فيه، واعتقدوا فيه الالهية امر بتحريقهم بالنار. فهذا شأن انبياء الله واوليائه. وانما يقر على الغلو فيه وتعظيمه بغير حق من يريد علوا في الارض وفسادا، كفرعون ونحوه، ومشايخ الضلال الذين غرضهم العلو في الارض والفساد. والفتنة بالانبياء والصالحين، واتخاذهم اربابا، والاشراك بهم، مما

يحصل في مغيبهم وفي مماتهم، كما اشرك بالمسيح وعزير فهذا مما يبين الفرق بين سؤال النبي والصالح في حياته وحضوره، وبين سؤاله في مماته ومغيبه. ولم يكن احد من سلف الامة في عصر الصحابة ولا التابعين، ولا تابعي التابعين يتخيرون الصلاة والدعاء عند قبور الانبياء ويسألونهم، ولا يستغيثون بهم، لا في مغيبهم، ولا عند قبورهم. وكذلك العكوف. ومن اعظم الشرك ان يستغيث الرجل بميت او غائب، كما ذكره السائل، ويستغيث به عند المصائب: يا سيدي فلان! كأنه يطلب منه ازالة ضره، او جلب نفعه. هذا حال النصارى في المسيح وامه واحبارهم ورهبانهم. ومعلوم ان خير الخلق واكرمهم على الله نبينا محمد صلى الله عليه وسلم، واعلم الناس بقدره وحقه اصحابه، ولم يكونوا يفعلون شيئا من ذلك، لا في مغيبه، ولا بعد مماته. وهؤلاء المشركون يضمون الى الشرك الكذب؛ فان الكذب مقرون بالشرك. وقد قال تعالى: (واجتنبوا الرجس من الاوثان واجتنبوا قول الزور حنفاء لله غير مشركين به) وقال النبي صلى الله

عليه وسلم: «عدلت شهادة الزور بالاشراك بالله مرتين او ثلاثا» وقال تعالى: (ان الذين اتخذوا العجل سينالهم غضب من ربهم وذلة في الحياة الدنيا وكذلك نجزي المفترين) وقال الخليل عليه السلام: (أإفكا آلهة دون الله تريدون فما ظنكم برب العالمين) فمن كذبهم ان احدهم يقول عن شيخه: ان المريد اذا كان بالمغرب، وشيخه بالمشرق، وانكشف غطاؤه رده عليه، وان الشيخ ان لم يكن كذلك لم يكن شيخا. وقد تغويهم الشياطين كما تغوي عباد الاصنام، كما كان يجري في المغرب في اصنامهم. ولعباد الكواكب وطلاسمها من الشرك والسحر، كما يجري للتتار والهند والسودان وغيرهم، من اصناف المشركين من اغواء الشياطين ومخاطبتهم ونحو ذلك، فكثير من هؤلاء قد يجري له انواع من ذلك، لاسيما عند سماع المكاء والتصدية؛ فان الشياطين قد تنزل عليهم، وقد يصيب احدهم كما يصيب المصروع، من الارغاء والازباد والصياح المنكر، ويكلمه بما لا يعقل هو والحاضرون، وامثال ذلك مما يمكن وقوعه في

هؤلاء الضالين. واما القسم الثالث، وهو ان يقول: اللهم بجاه فلان عندك، او ببركة فلان، او بحرمة فلان عندك، افعل بي كذا وكذا فهذا يفعله كثير من الناس، لكن لم ينقل عن احد من الصحابة والتابعين وسلف الامة انهم كانوا يدعون بمثل هذا الدعاء، ولم يبلغني عن احد من العلماء في ذلك ما احكيه، الا ما رايت (1) فتاوي الفقيه ابي محمد بن عبد السلام؛ فانه افتى انه لا يجوز لاحد ان يفعل ذلك الا للنبي صلى الله عليه وسلم، ان صح الحديث في النبي صلى الله عليه وسلم (2) ومعنى الاستفتاء قد روى النسائي والترمذي وغيرهما ان النبي صلى الله عليه وسلم علم بعض اصحابه ان يدعو فيقول: اللهم اني اسألك واتوسل اليك بنبيك نبي الرحمة، يا محمد يا رسول الله اني اتوسل بك الى ربي في حاجتي؛ ليقضيها لي. اللهم فشفعه في. فان هذا الحديث قد استدل به طائفة على جواز التوسل بالنبي صلى الله عليه وسلم في حياته

(1) الظاهر في فتاوي الفقه.
(2) الظاهر وفي معنى.

وبعد مماته. قالوا: وليس في التوسل دعاء المخلوقين، ولا استغاثة بالمخلوق، وانما هو دعاء واستغاثة بالله، لكن فيه سؤال بجاهه، كما في سنن ابن ماجة عن النبي صلى الله عليه وسلم انه ذكر في دعاء الخارج للصلاة ان يقول: «اللهم اني اسألك بحق السائلين عليك وبحق ممشاي هذا؛ فاني لم اخرج اشرا ولا بطرا، ولا رياء ولا سمعة، خرجت اتقاء سخطك، وابتغاء مرضاتك، اسألك ان تنقذني من النار، وان تغفر لي ذنوبي؛ فانه لا يغفر الذنوب الا انت» قالوا: ففي هذا الحديث انه سأل بحق السائلين عليه، وبحق ممشاه الى الصلاة، والله تعالى قد جعل على نفسه حقا، قال الله تعالى: (وكان حقا علينا نصر المؤمنين) ونحو قوله: (كان على ربك وعدا مسئولا) وفي الصحيح عن معاذ بن جبل ان النبي صلى الله عليه وسلم قال له: «يا معاذ! اتدري ما حق الله على العباد؟ قال الله ورسوله اعلم، قال حق الله على العباد ان يعبدوه ولا يشركوا به شيئا، اتدري ما حق العباد على الله اذا فعلوا ذلك؟ فان حقهم عليه ان لا يعذبهم» وقد

جاء في غير حديث كان حقا على (1) كذا وكذا، كقوله: «من شرب الخمر لم تقبل له صلاته اربعين يوما، فان تاب تاب الله عليه، فان عاد فشربها في الثالثة او الرابعة كان حقا على الله ان يسقيه من طينة الخبال، قيل وما طينة الخبال؟ قال: عصارة اهل النار» وقالت طائفة ليس في هذا جواز التوسل به في مماته وبعد مغيبه، بل انما فيه التوسل في حياته بحضوره، كما في صحيح البخاري ان عمر بن الخطاب رضي الله عنه استسقى بالعباس، فقال: اللهم انا كنا اذا اجدبنا نتوسل اليك بنبينا فتسقينا، وانا نتوسل اليك بعم نبينا فاسقنا، فيسقون. وقد بين عمر بن الخطاب رضي الله عنه انهم كانوا يتوسلون به في حياته فيسقون، وذلك التوسل به انهم كانوا يسألونه ان يدعو الله لهم فيدعو لهم، ويدعون معه، فيتوسلون بشفاعته ودعائه، كما في الصحيح عن انس بن مالك رضي الله عنه ان رجلا دخل المسجد يوم الجمعة، من باب

---

(1) لعل لفظ الجلالة سقط هنا من الاصل، والصواب حقا على الله.

كان بجوار دار القضاء، ورسول الله صلى الله عليه وسلم قائم يخطب، فاستقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم قائما، فقال: يا رسول الله! هلكت الاموال، وانقطعت السبل، فادع الله لنا ان يمسكها عنا، ـ قال ـ فرفع رسول الله صلى الله عليه وسلم يديه، ثم قال: «اللهم حوالينا ولا علينا، اللهم على الإكام والظراب وبطون الاودية ومنابت الشجر» ـ قال ـ واقلعت، فخرجنا نمشي في الشمس، ففي هذا الحديث انه قال: ادع الله لنا ان يمسكها عنا. وفي الصحيح ان عبد الله بن عمر قال: اني لاذكر قول ابي طالب في رسول الله صلى الله عليه وسلم، حيث يقول:

وابيض يستسقى الغمام بوجهه
ثمال اليتامى عصمة للارامل

فهذا كان توسلهم به في الاستسقاء ونحوه. ولما مات توسلوا بالعباس رضي الله عنه، كما كانوا يتوسلون به ويستسقون. وما كانوا يستسقون به بعد موته، ولا في مغيبه، ولا عند قبره، ولا عند قبر غيره. وكذلك معاوية ابن ابي سفيان، استسقى بيزيد بن الاسود الجرشي،

وقال: اللهم انا نستشفع اليك بخيارنا، يا يزيد ارفع يديك الى الله، فرفع يديه ودعا، ودعوا فسقوا. فلذلك قال العلماء يستحب ان يستسقى باهل الصلاح والخير، فاذا كانوا من اهل بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم كان احسن. ولم يذكر احد من العلماء انه يشرع التوسل والاستسقاء بالنبي والصالح، بعد موته، ولا في مغيبه، ولا استحبوا ذلك في الاستسقاء، ولا في الانتصار، (1) ولا غير ذلك من الادعية، والدعاء مخ العبادة، والعبادة مبناها على السنة والاتباع، لا على الاهواء والابتداع. وانما يعبد الله بما شرع، لا يعبد بالاهواء والبدع. قال تعالى: (ام لهم شركاء شرعوا لهم من الدين ما لم ياذن به الله) وقال تعالى (ادعوا ربكم تضرعا وخيفة انه لا يحب المعتدين) وقال النبي صلى الله عليه وسلم: « انه سيكون في هذه الامة قوم يعتدون في الدعاء والطهور. واما الرجل اذا اصابته نائبة، او خاف شيئا، فاستغاث بشيخه، يطلب تثبيت قلبه من ذلك

---

(1) لعل الصواب في الاستنصار.

الواقع، فهذا من الشرك، وهو من جنس دين النصارى؛ فان الله هو الذي يصيب بالرحمة، ويكشف الضر.. قال تعالى: (وان يمسسك الله بضر فلا كاشف له الا هو وان يردك بخير فلا راد لفضله) وقال تعالى (ما يفتح الله للناس من رحمة فلا ممسك لها وما يمسك فلا مرسل له من بعده) وقال تعالى (قل ارايتكم ان اتاكم عذاب الله او اتتكم الساعة اغير الله تدعون ان كنتم صادقين بل اياه تدعون فيكشف ما تدعون اليه ان شاء وتنسون ما تشركون) وقال تعالى (قل ادعوا الذين زعمتم من دونه فلا يملكون كشف الضر عنكم ولا تحويلا اولئك الذين يدعون يبتغون الى ربهم الوسيلة ايهم اقرب ويرجون رحمته ويخافون عذابه ان عذاب ربك كان محذورا) فبين ان من يدعى من الملائكة والانبياء وغيرهم لا يملكون كشف الضر عنهم، ولا تحويلا. فاذا قال قائل انا ادعو الشيخ؛ ليكون شفيعا لي فهو من جنس النصارى والاحبار والرهبان. والمؤمن يرجو ربه ويخافه ويدعوه مخلصا له الدين. وحق شيخه ان يدعو له ويترحم عليه؛ فان

اعظم الخلق قدرا هـو رسول الله صلى الله عليه وسلم، واصحابه اعلم الناس بامـره وقدره واطوع الناس له، ولم يكن يامر احدا منهم عند الفزع والخوف ان يقول: يا سيدي: يا رسول الله، ولم يكونوا يفعلون ذلك في حياته، ولا بعد مماته، بل كان يامرهم بذكر الله ودعائه والصلاة والسلام عليه صلى الله عليه وسلم. قال الله تعالى: (الذين قال لهم النـاس ان الناس قد جمـعوا لكم فاخشوهم فزادهم ايمانا وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل فانقلبوا بنـعـمة من الله وفضل لم يمسسهم سوء واتبـعوا رضوان الله والله ذو فضل عظيم) وفي صحيح البـخاري عن ابن عباس رضي الله عنهما ان هذه الكلمة قالهـا ابراهيم عليه السلام، حين القي في النار، وقالها محمد صلى الله عليه وسلم، يعني واصحابه، حين قال لهم الناس: ان الناس قد جمعوا لكم. وفي الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم انه كان يقول، عند الكرب: «لا اله الا الله العظيم الحليم، لا اله الا الله رب العرش الكريم، لا اله الا الله رب السماوات والارض ورب العـرش العظيم»وقد

روي انه علم نحو هذا الدعاء بعض اهل بيته. وفي السنن ان النبي صلى الله عليه وسلم كان اذا حز به امر قال: يا حي يا قيوم، برحمتك استغيث. وروي انه علم ابنته فاطمة ان تقول:«يا حي يا قيوم، يا بديع السماوات والارض، لا اله الا انت، برحمتك استغيث، اصلح لي شاني كله، ولا تكلني الى نفسي طرفة عين، ولا الى احد من خلقك»وفي مسند الامام احمد وصحيح ابي حاتم البستي عن ابن مسعود رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال: «ما اصاب عبدا قط هم ولا حزن، فقال اللهم انى عبدك، وابن عبدك، وابن امتك، ناصيتي بيدك، ماض في حكمك، عدل في قضاؤك، اسالك بكل اسم هو لك، سميت به نفسك، او انزلته في كتابك، او علمته احدا من خلقك، او استأثرت به في علم الغيب عندك، ان تجعل القرآن العظيم ربيع قلبي، ونور صدرى، وجلاء حزني، وذهاب همي، وغمي، الا اذهب الله همه وغمه، وابدله مكانه فرحا»قال يا رسول الله: افلا نتعلمهن؟ قال: «ينبغي لمن سمعهن ان يتعلمهن»وقال لامته:«ان الشمس والقمر آيتان

من آيات الله، لا ينكسفان لموت احد ولا لحياته، ولكن الله يخوف بهما عباده، فاذا رأيتم ذلك فافزعوا الى الصلاة وذكر الله والاستغفار» فامرهم عند الكسوف بالصلاة والدعاء والذكر والعتق والصدقة، ولم يأمرهم ان يدعوا مخلوقا ولا ملكا ولا نبيا ولا غيرهم. ومثل هذا كثير في سنته، لم يشرع للمسلمين عند الخوف الا ما امر الله به من دعاء الله وذكره والاستغفار والصلاة والصدقة ونحو ذلك. فكيف يعدل المؤمن بالله ورسوله عما شرع الله ورسوله الى بدعة، ما انزل الله بها من سلطان، تضاهي دين المشركين والنصاري. فان زعم احد ان حاجته قضيت بمثل ذلك، وانه مثل له شيخه ونحو ذلك فعباد الكواكب والاصنام ونحوهم من اهل الشرك يجرى لهم مثل هذا، كما قد تواتر ذلك عمن مضى من المشركين وعن المشركين في هذا الزمان، فلولا ذلك ما عبدت الاصنام ونحوها. وقال الخليل عليه السلام: (واجنبني وبني ان نعبد الاصنام رب انهن اضللن كثيرا من الناس) ويقال له: اول ما ظهر الشرك في ارض مكة بعد ابراهيم

الخليل من جهة عمرو بن لحي الخزاعي، الذي رآه النبي صلى الله عليه وسلم يجر امعاءه في النار. وهو اول من سيب السوائب، وغير دين ابراهيم. قالوا: انه ورد الشام، فوجد فيها اصناما بالبلقاء، يزعمون انهم ينتفعون بها، في جلب منافعهم، ودفع مضارهم، فنقلها الى مكة، وسن للعرب الشرك وعبادة الاصنام. والامور التي حرمها الله ورسوله: من الشرك والسحر والقتل والزنى وشهادة الزور وغير ذلك من المحرمات قد يكون للنفس فيها حظ، مما تعده منفعة او دفع مضرة. ولولا ذلك ما اقدمت النفوس على المحرمات، التي لا خير فيها بحال، وانما يوقع النفوس في المحرمات الجهل او الحاجة، فاما العالم بقبح الشيء والنهي عنه، فكيف يفعله؛ والذين يفعلون هذه الامور جميعها قد يكون عندهم جهل بما فيها من الفساد، وقد تكون بهم حاجة اليها مثل الشهوة اليها، وقد يكون فيها من الضرر اعظم مما فيها من اللذة، ولا يعلمون ذلك؛ لجهلهم او تغلبهم اهواؤهم حتى يفعلوها. والهوى غالبا يجعل صاحبه كانه لا يعلم من الحق شيئا؛ فان حبك للشيء

يعمي ويصم؛ ولهذا كان العالم يخشى الله. وقال ابو العالية: سالت اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم عن قول الله عز وجل (انما التوبة على الله للذين يعملون السوء بجهالة ثم يتوبون من قريب) الآية. وليس هذا موضع البسط لبيان ما في المنهيات من المفاسد الغالبة، وما في المامورات من المصالح الغالبة، بل يكفي المؤمن ان يعلم ان ما امر الله به فهو لمصلحة محضة او غالبة، وما نهى الله عنه فهو مفسدة محضة او غالبة، وان الله لا يامر العباد بما امرهم به لحاجته اليهم، ونهاهم عن ما فيه مفاسدهم. ولهذا وصف نبينا صلى الله عليه وسلم بانه يامرهم بالمعروف، وينهاهم عن المنكر، ويحل لهم الطيبات، ويحرم عليهم الخبائث.

واما التمسح بالقبر، اي قبر كان، وتقبيله وتمريغ الخد عليه فمنهي عنه باتفاق المسلمين، ولو كان ذلك من قبور الانبياء، ولم يفعل هذا احد من سلف الامة وائمتها، بل هذا من الشرك، قال الله تعالى (وقالوا لا تذرن آلهتكم ولا تذرن ودا ولا سواعا ولا يغوث ويعوق ونسرا وقد اضلوا كثيرا) وقد تقدم ان هؤلاء اسماء قوم صالحين،

كانوا من قوم نوح، وانهم عكفوا على قبورهم مدة، ثم طال عليهم الامد، فصوروا تماثيلهم، لا سيما اذا اقترن بذلك دعاء الميت والاستغاثة به. وقد تقدم ذكر ذلك وبيان ما فيه من الشرك، وبينا الفرق بين الزيارة البدعية، التي تشبه اهلها بالنصارى (1). واما وضع الراس عند الكبراء من الشيوخ وغيرهم، او تقبيل الارض، ونحو ذلك فانه مما لا نزاع فيه بين الائمة في النهي عنه، بل مجرد الانحناء بالظهر لغير الله عز وجل منهي عنه؛ ففي المسند وغيره ان معاذ بن جبل رضي الله عنه لما رجع من الشام سجد للنبي صلى الله عليه وسلم فقال: «ما هذا يا معاذ؟ فقال يا رسول الله! رايتهم في الشام يسجدون لأساقفتهم، ويذكرون ذلك عن انبيائهم فقال: كذبوا يا معاذ، لو كنت آمرا احدا ان يسجد لاحد لامرت المرأة ان تسجد لزوجها من عظم حقه عليها، يا معاذ! ارايت ان مررت بقبري اكنت ساجدا؟ قال لا، قال: لا تفعل هذا، او كما قال

(1) لعل الواو زائدة

رسول الله صلى الله عليه وسلم» بل قد ثبت في الصحيح من حديث جابر «انه صلى الله عليه وسلم صلى باصحابه قاعدا، من مرض كان به، فصلوا قياما، فامرهم بالجلوس، وقال لا تعظموني، كما تعظم الاعاجم بعضهم بعضا» وقال «من سره ان يتمثل له الناس قياما فليتبوأ مقعده من النار» فاذا كان قد نهاهم مع قعوده، وان كانوا قاموا في الصلاة حتى لا يتشبهون بمن يقومون لعظمائهم، وبين ان من سره القيام له كان من اهل النار. فكيف بما فيه السجود له من وضع الراس وتقبيل الايادي؟ وقد كان عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه وهو خليفة الله على الارض قد وكل اعوانا يمنعون الداخل من تقبيل الارض ويؤدبهم اذا قبل احد الارض. وبالجملة فالقيام والقعود والركوع والسجود حق للواحد المعبود خالق السماوات والارض. وما كان حقا خالصا لله لم يكن لغيره فيه نصيب. مثل الحلف بغير الله عز وجل. وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من كان حالفا فليحلف بالله او ليصمت» متفق عليه. وقال ايضا: «من حلف بغير

الله فقد اشرك، فالعبادة كلها لله وحده لا شريك له. (وما امروا الا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة وذلك دين القيمة) وفي الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال: «ان الله يرضى لكم ثلاثا: ان تعبدوه ولا تشركوا به شيئا، وان تعتصموا بحبل الله جميعا، ولا تفرقوا، وان تناصحوا من ولاه الله امركم» واخلاص الدين لله هو اصل العبادة. ونبينا صلى الله عليه وعلى آله وسلم نهى عن الشرك: دقه وجله، وحقيره وكبيره، حتى انه قد تواتر عنه انه نهى عن الصلاة وقت طلوع الشمس ووقت غروبها بالفاظ متنوعة، تارة يقول: «لا تحروا بصلاتكم طلوع الشمس ولا غروبها» وتارة ينهى عن الصلاة بعد طلوع الفجر حتى تطلع الشمس، وبعد العصر حتى تغرب الشمس، وتارة يذكر ان الشمس اذا طلعت بين قرني شيطان، وحينئذ يسجد لها الكفار. ونهى عن الصلاة في هذا الوقت لما فيه من مشابهة المشركين في كونهم يسجدون للشمس في هذا الوقت، وان الشيطان يقارن

الشمس حينئذ ليكون السجود له. فكيف بما هو شرك ومشابهة للمشركين، وقد قال الله تعالى فيما امر رسوله ان يخاطب به اهل الكتاب (قل يا أهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم ان لا نعبد الا الله ولا نشرك به شيئا ولا يتخذ بعضنا بعضا اربابا من دون الله فان تولوا فقولوا اشهدوا بانا مسلمون) وذلك لما فيه من مشابهة اهل الكتاب من اتخاذهم بعضهم بعضا اربابا من دون الله. ونحن منهيون عن مثل هذا. ومن عدل عن هدي نبيه صلى الله عليه وعلى آله وسلم وهدي اصحابه والتابعين لهم باحسان الى ما هو من جنس هدي النصارى فقد ترك ما امر الله به ورسوله. واما قول القائل انقضت حاجتي ببركة الله وبركتك. فمنكر من القول! فانه لا يقارن بالله في مثل هذا غيره، حتى ان قائلا قال للنبي صلى الله عليه وسلم ما شاء الله وشئت. فقال: اجعلتني لله ندا؟ بل ما شاء الله وحده. وقال لاصحابه لا تقولوا ما شاء الله وشاء محمد، ولكن قولوا ما شاء الله ثم شاء محمد. وفي الحديث ان بعض المسلمين راى قائلا

يقول نعم القوم انتم لولا انكم تنددون: اي تجعلون لله ندا: يعني تقولون ما شاء الله وشاء محمد. فنهاهم النبي صلى الله عليه وسلم عن ذلك. وفي الصحيح عن زيد بن خالد قال: صلى لنا رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم صلاة الفجر بالحديبية في اثر سماء من الليل، فقال: اتدرون ماذا قال ربكم الليلة؟ قلنا الله ورسوله اعلم. قال قال: اصبح من عبادي مؤمن بي كافر بالكواكب، ومؤمن بالكواكب كافر بي. فاما من قال مطرنا بفضل الله ورحمته فذلك مؤمن بي كافر بالكواكب. واما من قال مطرنا بنوء كذا وكذا فذلك كافر بي مؤمن بالكواكب. والاسباب التى جعلها الله تعالى اسبابا لا تجعل مع الله شركاء وانددا واعوانا. وقول القائل ببركة الشيخ قد يعني بها دعاءه. واسرع الدعاء اجابة دعاء غائب لغائب. وقد يعني بها بركة ما امره به وعلمه من الخير. وقد يعني بها بركة معاونته له على الحق وموالاته في الدين ونحو ذلك. وهذه كلها معان صحيحة. وقد يعني بها دعاءه للميت والغائب اذ استقلال الشيخ بذلك التاثير او فعله لما هو

عاجز عنه او غير قادر عليه او غير قاصد له متابعته او مطاوعته على ذلك من البدع المنكرات. من هذه المعاني الباطلة. والذي لا ريب فيه ان العمل بطاعة الله تعالى ودعاء المؤمنين بعضهم لبعض ونحو ذلك هو نافع في الدنيا والآخرة. وذلك بفضل الله ورحمته. واما سؤال السائل عن القطب الغوث الفرد فهذا قد يقوله طوائف من الناس، ويفسرونه بامور باطلة في دين الاسلام: مثل تفسير بعضهم ان الغوث هو الذي يكون مدد الخلائق بواسطته، في نصرهم ورزقهم حتى يقول ان مدد الملائكة وحيتان البحر بواسطته. فهذا من جنس قول النصارى في المسيح عليه السلام. والغالية في علي رضي الله عنه. وهذا كفر صريح، يستتاب منه صاحبه، فان تاب والا قتل، فانه ليس من المخلوقات لا ملك ولا بشر يكون امداد الخلائق بواسطته. ولهذا كان ما يقوله الفلاسفة في العشرة الذين يزعمون انها الملائكة، وما يقوله النصارى في المسيح ونحو ذلك كفرا باتفاق المسلمين. وكذلك اعني بالغوث ما يقوله بعضهم من ان في الارض ثلاثمائة

وبضعة عشر رجلا يسمونهم النجباء، فينتقى منهم سبعون هم النقباء ومنهم اربعون هم الابدال، ومنهم سبعة هم الاقطاب، ومنهم اربعة هم الاوتاد، ومنهم واحد وهو الغوث، وانه مقيم بمكة، وان اهل الارض اذا نابهم نائبة في رزقهم ونصرهم فزعوا الى الثلاثمائة وبضعة عشر رجلا، اولئك يفزعون الى السبعين، والسبعون الى الاربعين، والاربعون الى السبعة، والسبعة الى الاربعة، والاربعة الى الواحد، وبعضهم قد يزيد في هذا وينقص في الاعداد والاسماء والمراتب، فان لهم فيها مقالات متعددة، حتى يقول بعضهم انه ينزل من السماء على الكعبة ورقة خضراء باسم غوث الوقت واسم خضره، على قول من يقول منهم ان الخضر هو مرتبة، وان لكل زمان خضرا، فان لهم في ذلك قولين. وهذا كله باطل، لا اصل له في كتاب الله، ولا سنة رسوله، ولا قاله احد من سلف الامة ولا ائمتها، ولا من المشايخ الكبار المتقدمين الذين يصلحون للاقتداء بهم. ومعلوم ان سيدنا رسول رب العالمين وابا بكر وعمر وعثمان وعليا رضى الله عنهم كانوا خير الخلق في

زمنهم، وكانوا بالمدينة، ولم يكونوا بمكة. وقد روى بعضهم حديثا في هلال غلام المغيرة بن شعبة، وانه احد السبعة. والحديث باطل باتفاق اهل المعرفة، وان كان قد روى بعض هذه الاحاديث ابو نعيم في حلية الاوليا ٔ والشيخ ابو عبد الرحمن السلمي في بعض مصنفاته. فلا تغتر بذلك؛ فان فيه الصحيح والحسن والضعيف والموضوع. والمكذوب، الذي لا خلاف بين العلماء في انه كذب موضوع. وتارة يرويه على عادة بعض اهل الحديث، الذين يروون ماسمعوا ولا يميزون بين صحيحه وباطله. وكان اهل الحديث لا يروون مثل هذه الاحاديث لما ثبت في الصحيح عن النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم انه قال: «من حدث عني بحديث وهو يرى انه كذب فهو احد الكاذبين» وبالجملة فقد علم المسلمون كلهم ان ما ينزل بالمسلمين من النوازل في الزغبة والرهبة: مثل دعائهم عند الاستسقا ٔ لنزول الرزق، ودعائهم عند الكسوف والاعتداد (١) لرفع البلا ٔ وامثال ذلك انما يدعون في ذلك الله وحده لا شريك له، لا يشركون

(1) كذا في الاصل

به شيئا. لم يكن للمسلمين قط ان يرجعوا بحوائجهم الى غير الله عز وجل بلا واسطة، فيجيبهم. فتراهم بعد التوحيد والاسلام لا يخيب دعاؤهم الا بهذه الواسطة التي ما انزل الله بها من سلطان؟ قال تعالى (واذا مس الانسان الضر دعانا لجنبه او قاعدا او قائمافلما كشفنا عنه ضره مر كأن لم يدعنا الى ضر مسه) وقال تعالى (واذا مسكم الضر في البحر ضل من تدعون الا اياه) وقال تعالى (قل ارايتم ان اتاكم عذاب الله او اتتكم الساعة اغير الله تدعون ان كنتم صادقين بل اياه تدعون فيكشف ما تدعون اليه ان شاء وتنسون ما تشركون) وقال (ولقد ارسلنا الى امم من قبلك فاخذناهم بالباساء والضراء لعلهم يتضرعون فلولا اذ جاءهم بأسنا تضرعوا ولكن قست قلوبهم وزين لهم الشيطان ما كانوا يعملون) والنبي صلى الله عليه وسلم استسقى لاصحابه بصلاة وبغير صلاة. وصلى بهم للاستسقاء وصلاة الكسوف، وكان يقنت في صلاته فيستنصر على المشركين. وكذلك خلفاؤه الراشدون بعده وكذلك ائمة الدين

ومشايخ المسلمين. وما زالوا على هذه الطريقة. ولهذا يقال ثلاثة اشياء ما لها من اصل: باب النصيرية، ومنتظر الرافضة، وغوث الجهال؛ فان النصيرية تدعى في الباب الذي لهم ما هو من هذا الجنس: انه الذي يقيم العالم فذاك شخصه موجود، ولكن دعوى النصيرية فيه باطلة. واما محمد بن الحسن المنتظر والغوث المقيم بمكة ونحو هذا فانه باطل، ليس له وجود. وكذلك ما يزعمه بعضهم من ان القطب الغوث الجامع يمد اولياء الله ويعرفهم كلهم ونحو هذا، فهذا باطل فابو بكر وعمر رضي الله عنهما لم يكونا يعرفان جميع اولياء الله ولا يمدانهم. فكيف بهؤلاء الضالين المفترين الكذابين؛ ورسول الله صلى عليه وعلى آله وسلم سيدولد آدم انما عرف الذين لم يكن رآهم من امته بسيماء الوضوء، وهو الغرة والتحجيل. ومن هؤلاء من اولياء الله ما لا يحصيه الا الله عز وجل. وانبياء الله الذين هو امامهم وخطيبهم لم يكن يعرف اكثرهم، بل قال الله تعالى (ولقد ارسلنا رسلا من قبلك منهم من قصصنا عليك ومنهم

من لم نقصص عليك) وموسى لم يكن يعرف الخضر، والخضر لم يكن يعرف موسى، بل لما سلم عليه موسى قال له الخضر: واني بارضك السلام؟ فقال له انا موسى. قال موسى بني اسرائيل! قال نعم. وقد كان بلغه اسمه وخبره، ولم يكن يعرف عينه. ومن قال انه نقيب الاولياء، او انه يعلمهم كلهم فقد قال الباطل. والصواب الذي عليه المحققون انه ميت «يعني الخضر» وانه لم يدرك الاسلام، ولوكان موجودا في زمن النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم لوجب عليه ان يؤمن به، ويجاهد معه، كما اوجب الله ذلك عليه وعلى غيره، ولكان يكون في مكة والمدينة، ولكان يكون حضوره مع الصحابة للجهاد معهم واعانتهم على الدين اولى به من حضوره عند قوم كفار ليرقع لهم سفينتهم ولم يكن مختفيا عن خير امة اخرجت للناس، وهو قد كان بين المشركين، ولم يحتجب عنهم. ثم ليس للمسلمين به وامثاله حاجة، لا في دينهم ولا في دنياهم، فان دينهم اخذوه عن الرسول النبي الامي صلى الله عليه وعلى آله وسلم الذي علمهم

الكتاب والحكمة، وقال لهم نبيهم لوكان موسى حيا ثم اتبعتموه وتركتموني لضللتم. وعيسى بن مريم عليه السلام اذا نزل من السماء انما يحكم فيهم بكتاب ربهم وسنة نبيهم؛ فاي حاجة لهم مع هذا الى الخضر وغيزه؟ والنبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم قد اخبرهم بنزول عيسى من السماء وحضوره مع المسلمين وقال كيف تهلك امة اذا اولها وعيسى في آخرها؟ فاذا كان النبيان الكريمان اللذان هما مع ابراهيم وموسى ونوح افضل الرسل ومحمد صلى الله عليه وعلى آله وسلم سيد ولد آدم ولم يحتجبوا عن هذه الامة لا عوامهم ولا خواصهم فكيف يحتجب عنهم من ليس مثلهم؟ واذا كان الخضر حيا دائما فكيف لم يذكر النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم ذلك قط؟ ولا اخبر به امته ولا خلفاؤه الراشدون. وقول القائل انه نقيب الاولياء فيقال له من ولاه النقابة؟ وافضل الاولياء اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم وليس فيهم الخضر. وغاية ما يحكى في هذا الباب من الحكايات بعضها كذب وبعضها مبني عن ظن رجال مثل شخص رأى

رجلا ظن انه الخضر وقال: انه الخضر، كما ان الرافضة ترى شخصا تظن انه الامام المنتظر المعصوم، او تدعي ذلك، وروي (1) الامام احمد بن حنبل انه قال وقد ذكر له الخضر: من احالك على غائب فما انصفك. وما القى هذا على السنة الناس الا الشيطان. وقد بسطنا الكلام على هذا في غير هذا الموضع. واما ان قصد القائل بقوله القطب الغوث الفرد الجامع انه رجل يكون افضل اهل زمانه فهذا ممكن، لكن من الممكن ان يكون في الزمان متساويان في الفضل وثلاثة واربعة وقد تكون جماعة بعضهم افضل من بعض من وجه، وتلك الوجوه اما متقاربة واما متساوية. ثم اذا كان في الزمان رجل هو افضل اهل الزمان فتسميته بالقطب الغوث الجامع بدعة ما انزل الله بها من سلطان، ولا تكلم بهذا احد من سلف الامة وائمتها، وما زال السلف يظنون في بعض الناس انه افضل او من افضل اهل زمانه ولا يطلقون عليه هذه الاسماء، التي ما انزل الله بها من سلطان، لاسيما ان من المنتحلين بهذا الاسم من يدعي ان هؤلاء الاقطاب هو الحسن بن علي

(1) الصواب ويروى عن الامام

ابن ابي طالب رضي الله عنهما ثم يتسلسل الامر الى ما دونه الى بعض مشايخ المتـأخرين. وهذا لا يصح لا على مذهب اهل السنة، ولا على مذهب الرافضة، فاين ابو بكر وعمر وعثمان وعلي والسابقون الاولون من المهاجرين والانصار؟ والحسن عند وفـاة النبي صلى الله عليه وسلم كان قد قارب سن التمييز والاحـتـلام. وقد حكي عن بعض الاكابر من الشيوخ المنتحلين لهذا ان القطبالفرد الجامع ينطبق علمه على علم الله تعالى وقدرته على قدرة الله تعـالى فيعلم ما يعلمه الله ويقدر على ما يقدر عليه الله، وزعم ان النبي صلى الله علية وسلم كـان كـذلك، وان هذا انتقل عنه الى الحسن، وتسلسل الى شيخه. فبينت ان هذا كفر صريح، وجهل قبيـح، وان دعوي هذا في رسول الله صلى الله عليه وسلم كـفر، دع ما سواه. وقد قال الله تعالى (قل لا اقول لكم عندي خزائن الله ولا اعلم الغيب ولا اقول اني ملك) وقال تعالى (قل لا املك لنفسي نفعـا ولا ضرا الا مـا شاء الله ولو كـنت اعلم الغيب لاستكـثرت من الخير وما مسني السوء الآية) وقـال

تعالى (يقولون لوكان لنا من الامر شيء ما قتلنا ههـنا الآية) وقال تعالى (يقولون هل لنا من الامـر من شيء قل ان الامر كله لله) وقال تعالى (ليقطع طرفا من الذين كفروا او يكبتهم فينقلبوا خائبين ليس لك من الامر شيء او يتوب عليهم او يعذبهم فانهم ظالمون) وقال تعالى (انك لا تهدي من احببت ولكن الله يهدي من يشاء وهو اعلم بالمهتدين) والله سبحانه وتعالى امرنا ان نطيع رسوله صلى الله عليه وسلم فقـال (من يطع الرسول فقد اطاع الله) وامرنا ان نتبعه فقال تعالى (قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله) وامرنا ان نعزره ونوقره وننصره، وجعل له من الحقوق ما بينه في كتابه وسنة رسوله، حتى اوجب علينا ان يكون احب الناس الينا من انفسنا واهلينا؛ فقال تعالى (النبي اولى بالمؤمنين من انفسهم) وقال تعالى (قل ان كان آباؤكم وابناؤكم واخوانـكم وازواجـكم وعشيرتكم وامـوال اقترفتموهـا وتجارة تخشون كسادها ومساكن ترضونها احب اليكم من الله ورسوله وجهاد في سبيله

فتربصوا حتى ياتي الله بامره) وقال صلى الله عليه وسلم: «والذي نفسي بيده لا يؤمن احدكم حتى اكون احب اليه من ولده ووالده والناس اجمعين» وقال له عمر رضي الله عنه يا رسول الله: لأنت احب الي من كل شيء الا من نفسي فقال: لا يا عمر، حتى اكون احب اليك من نفسك، قال: فلأنت احب الي من نفسي، قال: الآن يا عمر. وقال: «ثلاث من كن فيه وجد بهن حلاوة الايمان! من كان الله ورسوله احب اليه مما سواهما، ومن كان يحب المرء لا يحبه الا لله، ومن كان يكره ان يرجع في الكفر بعد اذ انقذه الله منه كما يكره ان يلقي في النار». وقد بين في كتابه حقوقه التي لا تصلح الا له، وحقوق رسله، وحقوق المؤمنين بعضهم على بعض، كما بسطنا الكلام على ذلك في غير هذا الموضع. وذلك مثل قوله تعالى (ومن يطع الله ورسوله ويخش الله ويتقه فاولئك هم الفائزون) فالطاعة لله والرسول والخشية والتقوى لله وحده. وقال تعالى (ولو انهم رضوا ما آتاهم الله ورسوله وقالوا حسبنا الله سيؤتينا الله من فضله

ورسوله انا الى الله راغبون) فالايتاء لله والرسول، والرغبة لله وحده. وقال تعالى (وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا) لان الحلال ما احله الله ورسوله والحرام ما حرمه الله ورسوله. واما التحسب فهو لله وحده، كما قال (وقالوا حسبنا الله) ولم يقل حسبنا الله ورسوله. وقال تعالى (يا ايها النبي حسبك الله ومن اتبعك من المؤمنين) اي يكفيك الله ويكفي من اتبعك من المؤمنين. وهذا هو الصواب المقطوع به في هذه الآية، ولهذا كانت كلمة ابراهيم ومحمد عليهما الصلاة والسلام حسبنا الله ونعم الوكيل. والله سبحانه وتعالى اعلم واحكم. وصلى الله على خير خلقه سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

تم الكتاب بحمد الله وحسن عونه

قال مصححه، عفا الله عنه: وقد راينا ان نذيل هذا الكتاب النفيس بفصل من كتاب الاستقصا، لاخبار دول المغرب الاقصى، للعلامة احمد بن خالد الناصري السلوي المتوفى سنة 1315 ه؛ رد فيه على اصحاب البدع المحدثة في المغرب، وازهق باطلهم، وابان قبح ضلالهم، وحذر الامة منه قياما بما اوجبه الله على العلماء من الامر بالمعروف والنهي عن المنكر، فجزاه الله عن الاسلام والمسلمين خيرا. قال في الكتاب المذكور 1 ، 63 ما نصه:-

قد ظهر ببلاد المغرب وغيرها منذ اعصار متطاولة، لاسيما في المائة العاشرة وما بعدها بدعة قبيحة ، وهي اجتماع طائفة من العامة على شيخ من الشيوخ الذين عاصروهم او تقدموهم ممن يشار اليه بالولاية والخصوصية، ويخصونه بمزيد المحبة والتعظيم، ويتمسكون بخدمته والتقرب اليه قدرا زائدا على غيره من الشيوخ، بحيث يرتسم في خيال جلهم ان كل المشايخ او جلهم دونه في المنزلة عند الله تعالي، ويقولون: نحن اتباع سيدي فلان، وخدام الدار الفلانية، لا يحولون عن ذلك ولا

يزولون، خلفا عن سلف، وينادون باسمه، ويستغيثون به، ويفزعون في مهماتهم اليه، معتقدين ان التقرب اليه نافع، والانحراف عنه قيد شبر ضار، مع ان النافع والضار هو الله وحده. واذا ذكر لهم شيخ آخر، او دعوا اليه حاصوا حيصة حمر الوحش، من غير تبصر في احواله، هل يستحق ذلك التعظيم ام لا. فصار الامر عصبيا، وصارت الامة بذلك طرائق قددا. ففي كل بلد او قرية عدة طوائف. وهذا لم يكن معروفا في سلف الامة، الذين هم القدوة لمن بعدهم. وغرض الشارع انما هو في الاجتماع وتمام الالفة، واتحاد الوجهة. وقد قال تعالى لاهل الكتاب (تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم) الآية. وقد ذم قوما، فرقوا دينهم، وكانوا شيعا. وانما الشأن في اهل الخصوصية والدين ان يكونوا عند العاقل المحتاط لدينه كاسنان المشط، بحيث يحبهم لله وفي الله، ويستشفع بهم الى الله (1) ويساله تعالى ان يكرمه بما اكرمهم به من الخير والهدى والدين. وليحبهم حب التشرع، لا حب التشيع.

(1) الاستشفاع الصحيح انما يكون بمحبته لهم لله واتباعهم في الحق والاقتداء بهم في نصرة سنة الرسول صلى الله عليه وسلم

وليتأدب معهم، ولا يقدم على مفاضلتهم بالهوى والرجم بالغيب؛ فان ذلك متوقف على الاطلاع على منزلتهم عند الله، وذلك محجوب عنا. واذا نزلت به حاجة فليفزع في قضائها الى مولاه الذي خلقه ورزقه، مستشفعا اليه بنبيه(1) الذي هداه للايمان على يده، ثم بخواص الامة (1) الذين هم آباؤنا في الدين؛ فان المطلوب من العبد ان يصرف وجهته وقصده في جميع اموره، ويتعلق فيها بالله، بحيث لا يطلبها الا منه، ولايتكل فيها الا عليه، قاطعا للنظر عن كل ما سواه، اللهم الا على سبيل التوسل (1) والاستشفاع، كما قلنا. هذا هو التوحيد الذي بعث الله به محمدا صلى الله عليه وسلم، واليه دعا، وعليه قاتل. وسواه شرك ومنابذ لما جاء به. (ان هذا لهو القصص الحق وما من اله الا الله) الآية. ثم استرسل هؤلاء الطغام في ضلالهم، حتى صارت كل طائفة تجتمع في اوقات معلومة في مكان مخصوص

---

(1) الاستشفاع الصحيح انما يكون بمحبته لهم لله واتباعهم في الحق والاقتداء بهم في نصرة سنة الرسول صلى الله عليه وسلم

او غيره على بدعتهم التي يسمونها الحضرة، فما شئت من طست وطار، وطبل ومزمار، وغناء ورقص، وخبط بالرجل وفحص، وربما اضافوا الى ذلك نارا او غيرها، يشتعلونه(1) على سبيل الكرامة بزعمهم، ويستغرقون في ذلك الزمن الطويل، حتى يمضي الوقت والوقتان من اوقات الصلوات وداعي الفلاح ينادي على رؤسهم، وهم في حيرتهم يعمهون، لا يرفعون به رأسا، ولا يرون بما هم فيه من الضلال بأسا، بل يعتقدون ان ما هم فيه من افضل القرب الى الله، تعالى الله عن جهالاتهم علوا كبيرا. ولا تجد في هذه المجامع الشيطانية غالبا الا من بلغ الغاية في الجفاء والجهل، ممن لا يحسن الفاتحة فضلا عن غيرها، مع ترك الصلاة طول عمره، او من في معناه من معتوه ناقص العقل والدين. فما احوج هؤلاء الفسقة الى محتسب يغير عليهم ما هم فيه، من المنكر العظيم، واللبس المقيم! واعظم من هذا كله انهم يفعلون تلك الحضرة غالبا في المساجد؛

(1) الظاهر يشعلونها

فانهم يتخذون الزاويــة باسم الشيخ، ويجعـلونها مسجدا للصلاة بالمحراب والمنــار وغير ذلك، ثم يعـــمرونها بهذه البدعة الشنيعة. فكم راينا من عود ورباب ومزمار على افحش الهيآت، في محاريب الصلوات!

ومن بدعهم الشنيعة محاكاتهم اضرحة الشيوخ لبيت الله الحرام، من جعل الـكسوة لها، وتحديد الحرم على مسافة معلومة، بحيث يكون من دخل تلك البقعة من اهل الجرائم آمنا، وسوق الذبائح اليها على هيأة الهدى، واتخاذ الموسم كل عام. وهذا وامثاله لم يشرع الا في حق الكعبة. ثم يقع في ذلك الموسم، ولاسيما مواسم البـادية، من المناكر والمفاسد العظام، واختلاط الرجال بالنساء، باديات متبرجات، شان اهل الاباحة، وشان قوم نوح في جاهليتهم، ما تصم عنه الآذان، ولا منكر، ولا مغير، ولا ممتعض للدين، لا بل للحسب. فاما الدين عند هؤلاء فلا دين. فانا لله وانا اليه راجعون على ضيعة الدين وغفلة اهله عنه. ويا لله ويا للمسلمين لهؤلاء الهمج الرعاع، الذين سلبوا المروءة والحياء والغيرة والعقل والدين والانسانية

جملة؛ فليسوا في فطنة الشياطين، ولا في سلامة صدور البهائم، ولا في نخوة السباع فيغضبوا لدينهم ومروءتهم.

ومن جهالاتهم الفظيعة جمعهم بين اسم الله تعالى واسم الولي في مقامات التعظيم: كالقسم والاستعطاف وغيرهما؛ فاذا اقسموا قالوا: وحق الله وحق سيدي فلان، واذا عزموا على احد قالوا: دخلت عليك بالله وسيدي فلان، واذا سالوا قالوا: من يعطينا على الله وعلى سيدي فلان، فيعطفون اسم العبد على اسم مولاه بالواو المقتضية للتشريك والتسوية التامة في مقام قد حظر الشارع ان يتجاوز اسم الله الى غيره. وهذا هو صريح الشرك.

ومن مناكرهم الجديرة بالتغيير اجتماعهم كل سنة للوقوف يوم عرفة بضريح الشيخ عبد السلام بن مشيش رضي الله عنه، ويسمون ذلك «حج المسكين» فانظر الى هذه الطامة، التي اخترعها هؤلاء العامة.

ومن اختراعاتهم تسميتهم لبدعتهم بالحضرة كما قلنا اخذا من اسم حضرة الله تعالى في اصطلاح الائمة العارفين من الصوفية كاهل رسالة القشيري ومن في

معناهم؛ فاوهم هؤلاء الشياطين بهذه التسمية انهم يكونون في حال اشتغالهم بتلك البدعة في حضرة الله تعالى. ثم يذهبون فيسمون جنونهم وتخبطهم على تلك الطبول والمزامير بالحال اخذا من الحال التي تعتري السالك الى الله تعالى في حال ترقيه في درجات المعرفة والوصول. وهذا لعمر الله من اقبح الضلالات، واشنع الجهالات. الى غير هذا مما اغنى فيه العيان عن الخبر، وعرفه الخاص والعام في حالتي الورد والصدر. ولسنا ننكر على اولياء الله واهل الخصوصية منهم، او على من يسلك سبيلهم على الوجه المقرر في كتب الائمة المقتدى بهم منهم، وانما نشرح حال هؤلاء الجهلة الذين لم يأتوا الامر من بابه، ولا اخذوه عن اربابه. وانما حالهم ما رايت وعلمت. وهذه نفثة مصدور، وصاحبها عند المنصف معذور. فنسال الله العظيم، المولى الكريم، ان يحرك همة من له القدرة والتصرف الى حسم هذه الضلالات وقطعها. عسى ان يرحمنا ربنا ويجبر كسرنا، ويكبت عدونا، اذا نحن راجعنا ديننا، وسنة نبينا (ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما

بانفسهم واذا اراد الله بقوم سوءا فلا مرد له وما لهم من دونه من وال) انتهى كلام هذا الامام رحمه الله واجزل ثوابه؛ فلقد قام بالواجب خير قيام، شان الائمة الصالحين الكرام، سلك الله بنا طريقهم القويم وختم لنا برضوانه الاكبر، وذلك هو الفوز العظيم.

انتهى بمدينة القصر الكبير بدار السلفي الحبيب السيد محمد بن احمد التاكموتي عمرها الله بالعلم والخير والهدى آمين

فهرست كتاب زيارة القبور

صفحة

صحيفة

صحيفة

بيان الخطأ والصواب

صفحة	سطر	خطأ	صواب
6	7	فبنتفى	فينتفى
6	10	منتفيه	منتفية
7	4	سفيع	شفيع
8	5	واما	وما
8	8	جنس المشركين دعاء	جنس دعاء
8	9	عيسى بن	عيسى ابن
9	12	المسيح بن	المسيح ابن
11	8	لهم فسقوا	لهم فدعا الله لهم فسقوا
14	15	لبرائهم	كبرائهم
15	9	شاء	يشاء
17	10	فانت	فانك
18	11	الله دعاءه	الله اجاب دعاءه
20	7	مساجد فانى	مساجد الا فلا تتخدوا القبور مساجد فانى

صفحة	سطر	خطأ	صواب
26	10	هذا	وهذا
27	9	المغرب	العرب
»	13	انواع	نوع
30	2	صلاته	صلاة
31	6	وبطول	وبطون
40	7	يتشهون	يتشبهوا
43	3	لا يخيب	لا يجيب
48	9	ويصرفهم	ويعرفهم
51	9	وثلاثه	وثلاثة

يقول مصححه والقائم بنشره الدكتور تقي الدين الهلالي بقيت في هذه الرسالة اخطاء قليلة والفاظ سقطت من النسخة التي طبعنا عليها وكان بودي ان انبه عليها واشير الى الالفاظ التي يقتضي المقام ان تكون سقطت ولكن منعني من ذلك المرض وعدم المعين. على ان هذه الالفاظ لا تخفى على اللبيب

فهرست مقالة صاحب الاستقصا